(٧٨) سورة النبأ

فى رحاب السورة الكريمة

سورة مكية آياتها أربعون، تدور كلها حول يوم البعث وما فيه من أهوال وإثبات عقيدة البعث.

بدأت السورة الكريمة بالحديث عن يوم القيامة ـ هذا الحديث العظيم الذى شغل أذهان كفار مكة حتى صاروا فيه ما بين مصدق ومكذب ثم أقامت الدلائل والبراهين على قدرة الله عز وجل على البعث والنشور يوم الفصل يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ ﴾ (النبأ ١٧-١٨).

ثم تحدثت السورة الكريمة عن جهنم وما فيها من ألوان العذاب للكافرين ثم تحدثت عن المتقين وما أعد الله لهم من ضروب النعيم على طريقة القرآن الكريم بين الترغيب والترهيب وختمت السورة الكريمة بذكر أهوال يوم القيامة حيث يتمنى الكافر أن يكون ترابا لهول ما يرى من ألوان العذاب.

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾

معانى المفردات:

عم: عن أى شىء وهى "عن" حرف جر وما الاستفهامية أدغمت الميم فى النون وحذفت ألف ما النبأ العظيم: الخبر العظيم والمراد به البعث.

التفسير

يقول الله عز وجلَّ عن أى شيء يسأل هؤلاء الجاحدون من كفار مكة حيث كانوا يتساءلون عن البعث والحساب ويخوضون فيه استنكارا واستهزاء، فجاء

اللفظ بصيغة الاستفهام للتهويل والتفخيم والتعجيب من شأنهم، ثم ذكر الله تعالى ذلك الخبر الخطير فقال ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ أى إنهم يتساءلون عن هذا الأمر العظيم وهو أمر البعث[1] الذى اختلفوا فيه بين الشَّك والتكذيب والإنكار لحصوله ثم قال سبحانه: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ أى ليرتدع أولئك المكذبون. عن التساؤل عن البعث، فسيعلمون حقيقة الحال حين يرون البعث أمرًا واقعا ويرون عاقبة استهزائهم ثم قال تعالى مرة أخرى ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ فهذا تأكيد للوعيد من التهويل حيث سيعلمون ما يحل بهم من العذاب والنكال، لأن الله تعالى الذى قدر إيجاد كل هذه المخلوقات العظام، قادر على إحياء الناس بعد موتهم ثم قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴾ أى ألم نجعل هذه الأرض تسكنوها ممهدة للاستقرار عليها، والتقلب فى كل أنحائها!

حيث جعلنا الله تعالى كالفراش والبساط ليستقر الناس على ظهرها وليستفيدوا من سهولها الواسعة بأنواع المزروعات، ثم قال تعالى: ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ أى وجعلنا الجبال كالأوتاد تثبت الأرض لئلا تميد، كما تثبت الخيمة بالأوتاد، قال فى التسهيل شيدها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد[2].

الإعراب:

عَمَّ يتساءلون	عن حرف جر وما اسم استفهام مبنى فى محل جر ويحذف ألف ما الاستفهام إذا دخل عليها حرف جر، وأدغمت النون فى الميم والجار والمجرور متعلقان بيتساءلون، يتساءلون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل.
عَنِ النَّبَإِ	جار ومجرور متعلقان بمحذوف دل عليه يتساءلون
الْعَظِيمِ	نعت مجرور
الَّذِي	نعت ثان للنبأ

(١) البحر المحيط ٨/٤٠٩.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/١٧٣.

هُمْ	ضمير مبنى فى محل رفع مبتدأ
فِيهِ	جار ومجرور، متعلقان بمختلفون
مُخْتَلِفُونَ	خبر مرفوع بالواو، والجملة صلة الموصول (الذى)
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ	كلا حرف زجر وردع ووعيد للمتسائلين هزؤا، ستعلمون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ومفعول سيعلمون محذوف تقديره ما يحل بهم.
ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ	ثم حرف عطف، وكلا سيعلمون تأكيد لفظى للجملة السابقة ولا تَضُرُّ توسط حرف العطف، والنحويون يرون أنها عطف وإن أفاد التأكيد.
أَلَمْ نَجْعَلِ	الهمزة للاستفهام التقريرى، لم حرف نفى وجزم ونجعل مضارع مجزوم بالسكون، والفاعل مستتر تقديره نحن.
الْأَرْضَ	مفعول به أول منصوب.
مِهَٰدًا	مفعول به ثان منصوب.
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا	الجملة معطوفة على ما سبق.

﴿ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾

معانى المفردات:

خلقناكم أزواجا: أصنافا ذكورا وإناثا

نومكم سباتا: قطعا لأعمالكم وراحة لأبدانكم

الليل لباسا: ساترا لكم بظلمته

النهار معاشا: تحصلون فيه ما تعيشون به

سبعا شدادا: قويات محكمات

سراجا: مصباحا

وهاجا: غاية فى الحرارة

المعصرات: السحائب

ماء ثجاجا: منصبا بكثرة

جنات ألفافا: ملتفة الأشجار لكثرتها

التفسير:

يقول الله تعالى: ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ أى جعلناكم أيها الناس أصنافا ذكورا وإناثا؛ لتنظيم أمر النكاح والتناسل ولا تنقطع الحياة عن ظهر الأرض ثم جعل الله النوم راحة للأبدان، قاطعًا للعمل، يتخلص به الإنسان من مشاق العمل بالنهار، ثم يقول سبحانه ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ أى جعلنا الليل كاللباس يغشاكم ويستركم بظلامه، كما يستركم اللباس، ويغطيكم ظلمته كما يغطى الثوب لابسه، ﴿ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾أى جعلنا النهار سببا لتحصيل المعاش، تصرف منه الإنسان لقضاء حوائجه، يقول الإمام ابن كثير رضى الله عنه جعلناه مشرقًا مضيئًا ليتمكن الناس من التصرف فيه، بالذهاب والمجئ للمعاش والكسب والتجارة وغير ذلك[1].

﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴾ أى وبنينا فوقكم أيها الناس سبع سماوات محكمة الخلق بديعة الصنع، متينة فى إحكامها، وإتقانها، لا تتأثر بمرور العصور والأزمان خلقناها بقدرتنا لتكون كالسقف للأرض؛ ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ وأنشأنا لكم شمسًا منيرة ساطعة تتوهج ضوءها ويتوقد لأهل الأرض كلهم، قال المفسرون: الوهاج المتوقد الشديد الإضاءة، الذى يضطرم ويلتهب من شدة لهبه قال ابن عباس: المنير المتلألئ[2] ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ أى وأنزلنا من السحب التى حان وقت امطارها ماء دافقا منهمرا بشدة جاء فى التسهيل المعصرات هى السحب مأخوذة من العصر لأن السحاب يتعصر فينزل منه الماء[3]. ﴿ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾ أى لتخرج بهذا الماء أنواع الحبوب والزروع التى تنبت فى الأرض غذاء للإنسان

(١) ابن كثير ٣/٥٩٠.

(٢) ألقرطبى ١٩/١٧٠.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/١٧٣.

والحيوان، وحدائق وبساتين كثيرة ملتفة بعضها على بعض لكثرة أعضائها وتقارب أشجارها[1].

الإعراب:

وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا	عطف على ما تقدم، خلقناكم فعل ماض مبنى ونا الفاعلين فى محل رفع فاعل، والضمير "كم" فى محل نصب مفعول به، أزواجا حال منصوب.
وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا	الآية معطوفة على قبلها وسباتا مفعول ثان لجعلنا.
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا	الجملة معطوفة على ما تقدم وبنفس الإعراب السابق.
وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا	الجملة معطوفة أيضا على ما تقدم وبنفس الإعراب السابق ومعاشا مصدر ميمى بمعنى المعيشة وقد وقع هنا ظرفا للزمان أى وقت معاش.
وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا	الجملة معطوفة أيضا على ما تقدم، بنينا فعل ماض مبنى ونا الفاعلين، فوقكم ظرف منصوب والظرف فى محل جر بالإضافة وسبعا مفعول به، شدادا نعت منصوب.
وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا	الجملة معطوفة على ما تقدم وبنفس الإعراب تقريبا.
وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ	الواو عاطفة، أنزلنا فعل ماض ونا الفاعلين فى محل رفع فاعل، من المعصرات جار ومجرور متعلقان بأنزلنا.
مَاءً ثَجَّاجًا	ماءً مفعول به منصوب وثجاجا نعت منصوب.
لِنُخْرِجَ بِهِ	مضارع منصوب بعد لام التعليل والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن به جار ومجرور متعلقان بنخرج.

(١) صفوة التفاسير ص ١٦٧٣.

حَبًّا وَنَبَاتًا	حبا مفعول به ونباتا معطوف منصوب.
وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا	وجنات معطوف منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم وألفافا نعت منصوب.

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ﴾

معانى المفردات:

يوم الفصل : يوم القيامة
ميقاتا : موعدًا
ينفخ فى الصور : المراد نفخة القيام من القبور
أفواجا : جماعات
فكانت سرابا : أى كالسراب الذى لا حقيقة له
مرصادا : موضع ترصد وترقب للكافرين
للطاغين مآبا : مرجعا للطغاة الظالمين
لابثين فيها أحقابا : باقين فيها دهورا لا نهاية له
يوم الفصل : يوم القيامة
ميقاتا : موعدا

التفسير

إن يوم الحساب والجزاء وهو يوم الفصل بين الخلائق ، وله وقت محدد معلوم فى علمه عز وجل لا يتقدم ولا يتأخر ، قال القرطبى : سُمِّىَ يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل بين خلقة وقد جعله سبحانه وقتا وميعادا للأولين والآخرين[1] وفى هذا اليوم ينفخ فى الصور نفخة القيام من القبور فتحضر الخلائق جماعات جماعات

(١) تفسير القرطبى ١٩/١٧٣.

وزمرا زمرا للحساب والجزاء، ثم ذكر سبحانه وتعالى أوصاف ذلك اليوم الرهيب فقال سبحانه ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾ أى تشققت السماء من كل جانب، حتى كان فيها صدوع وفتوح كالأبواب من الجدران، من هول ذلك اليوم كقوله تعالى "إذا السماء انشقت" وعبر بالماضى "وفتحت" لتحقق الوقوع ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ أى ونسفت الجبال وقلعت من أماكنها، حتى أصبح يخيل إلى الناظر كالسراب الذى يظنه من يراه ماء وهو فى الحقيقة هباء [1] ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ أى جهنم تنظر وترقب نزلاءها الكفار كما يترصد الإنسان ويترقب عدوه ليأخذه على حين غرة وهى ﴿ لِلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴾ أى مرجع ومنزل للطغاة المجرمين أى ماكثين فى النار دهورا متتابعة لا نهاية لها، قال القرطبى: أى ماكثين فى النار ما دامت الأحقاب - أى الدهور - وهى لا تنقطع كلما مضى حقب جاء حقب لأن أحقاب الآخر لانهاية لها[2].

الإعراب:

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ	إن حرف توكيد ونصب، يوم اسم إن منصوب، الفصل مضاف إليه مجرور.
كَانَ مِيقَـٰتًا	كان فعل ماض ناسخ مبنى على الفتح، اسم كان مستتر تقديره هو، ميقاتا خبر كان منصوب، وجملة كان واسمها وخبرها فى محل رفع خبر إن.
يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ	يوم بدل من يوم الفصل، ينفخ فعل مضارع مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على إسرافيل، فى الصور جار ومجرور.
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا	فتأتون الجملة معطوفة على جملة ينفخ، أفواجا حال منصوب.

(١) تفسير القرطبى ٣٠/٧.

(٢) القرطبى ١٩/١٧٥.

وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ	وفتحت فعل ماض مبنى للمجهول، السماء نائب فاعل مرفوع والجملة معطوفة على ما قبلها، وعدل عن المضارع إلي الماضى لتحقيق الوقوع، وقيل الواو حالية والجملة فى محل نصب حال.
فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا	فكانت عطف على فتحت، واسم كان ضمير مستتر تقديره هو وأبوابا خبر كان منصوب.
وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ	الواو عاطفة، سيرت ماض مبنى للمجهول والجبال نائب فاعل مرفوع والجملة معطوفة أيضا على ما سبق.
فَكَانَتْ سَرَابًا	نفس إعراب "فكانت أبوابا"
إِنَّ جَهَنَّمَ	إن حرف توكيد ونصب مبنى على الفتح، جهنم اسم إن منصوب.
كَانَتْ مِرْصَادًا	كانت فعل ماض ناسخ واسمها ضمير مستتر تقديره هى مرصادا خبر كان منصوب وجملة كان واسمها وخبرها فى محل رفع خبر إن.
لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا	للطاغين جار ومجرور متعلقان بمرصادا ومآبا خبر ثان لكان
لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا	لابثين حال مقدرة منصوبة بالياء، من الضمير المستكن فى لابثين وأحقابا ظرف زمان متعلق بلابثين.

﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ۝٢٨ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ۝٣٠ ﴾.

معانى المفردات:

بردًا: روحا وراحة　　حميما: ماء بالغ نهاية الحرارة

غساقا: صديدا يسيل من جلودهم جزاء وفاقا: موافقا لأعمالهم

كذابًا: تكذيبا شديدا أحصيناه: حفظناه وضبطناه

التفسير:

الأيات الكريمات تتحدث عن مصير الكافرين فى جهنم فيقول سبحانه: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ أى لايذوقون فى جهنم برودة تخفف عنهم حر النار ولا شرابا يسكن عطشهم، ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴾ أى إلا ماء حارا بالغا غاية الحرارة وغساقا أى صديدا يسيل من جلود أهل النار، ﴿ جَزَاءً وِفَاقًا ﴾ أى عاقبهم الله بذلك جزاء موافقا لأعمالهم السيئة، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ فلم يكونوا يتوقعون الحساب والجزاء ولا يؤمنون بلقاء الله، فجازاهم الله بذلك الجزاء العادل، ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ أى وكانوا يكذبون بأيات الله الدالة على البعث وبالآيات القرآنية تكذيبا شديدا ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ أى وكل ما فعلوه من جرائم وآثام ضبطناه فى كتاب لنجازيهم عليه، ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ أى فذوقوا يا معشر الكافرين فلن نزيدكم إلا عذابا فوق عذابكم.

قال المفسرون: ليس فى القرآن على أهل النار أية هى أشد من هذه الآية كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه[1].

الإعراب:

لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا	لا حرف نفى مبنى على السكون، يذوقون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة فى حل نصب حال والضمير فى لابثين أى لابثين غير ذائقين أو نعتا لأحقابا وقيل الجملة مستأنفة، بردا مفعول به، الواو حرف عطف، لا نافية، شرابا عطف على بردا.
إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا	إلا أداة استثناء تفيد الحصر، حميما بدل من شرابا لأن الكلام غير موجب وغسّاقا عطف على حميما.

(١) القرطبى ١٩/ ١٨٠.

جَزَآءً وِفَاقًا	جزاء مصدر منصوب بفعل محذوف تقديره فجوزوا بذلك جزاء وفاقا نعت لجزاء لتكون الجملة مستأنفة.
إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا	إنهم إن واسمها، كانوا كان واسمها وجملة كان واسمها فى محل رفع خبر إن، لا حرف نفى مبنى، يرجون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، حسابا مفعول به منصوب.
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا	الواو عاطفة، كذبوا فعل ماض والواو فاعل، بآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا والضمير (نا) فى محل جر بالإضافة، كذابا مفعول مطلق منصوب.
وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا	وكُلَّ الواو عاطفة وكل منصوب على الاشتغال أى وأحصينا كل شىء أحصيناه، وشىء مضاف إليه مجرور وجملة أحصيناه فعل وفاعل ومفعول وكتابا يجوز أن يكون مصدر من معنى أحصيناه أى إحصاء أو حال بمعنى مكتوبا وجملة أحصيناه مفسره لا محل لها من الإعراب.
فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا	فذوقوا الفاء تعليلية، ذوقوا فعل أمر مبنى وعلامة بنائه حذف النون والواو فاعل، فلن الفاء عاطفة، لن حرف مصدرى ونصب واستقبال، ونزيدكم فعل مضارع منصوب بلن والكاف مفعول به أول، وإلا أداة حصر، وعذابا مفعول به ثان منصوب. وفاعل نزيدكم مستتر تقديره نحن.

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾

معانى المفردات:

مفازا: فوزا وظفرا كواعب: فتيات جميلات

أترابا: مستويات فى السن والحسن كأسا دهاقا: ممتلئة

لغوا: كلاما غير مفيد لا يعتد به كذابا: تكذيبا

عطاء حسابا: إحسانا كافيا.

التفسير:

إن المؤمنين الأبرار الذين أطاعوا ربَّهم فى الدنيا موضع ظفر وفوز فى جنات النعيم، وخلاص من عذاب الجحيم، ثم أوضحت الآيات الكريمات أن هذا الفوز بساتين ناضرة فيها من جميع الأشجار والأزهار وفيها كروم الأعناب الطيبة المتنوعة من كل ما تشتهيه النفس الإنسانية ونساء عذارى نواهد وهن فى سن واحدة، قال فى التسهيل: الكواعب جمع كاعب وهى الجارية التى خرج ثديها[1]، وكأسا من الخمر ممتلئة قد عصرت وصفيت[2] وهم فى الجنة لا يسمعون كلاما لا فائدة فيه ولا كذبا من القول لأن الجنة دار السلام وكل ما فيها سلام من الباطل والنقص، وقد جازاهم الله عز وجل لهذا الجزاء العظيم تفضلا منه وإحسانا، فهو سبحانه وتعالى ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ أى هذا الجزاء صادر من الرحمن الذى شملت رحمته كل شىء ولا يقدر أحد أن يخاطبه فى رفع بلاء أو رفع عذاب فى ذلك اليوم هيبة وجلالا[3].

الإعراب:

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا	إن حرف تأكيد ونصب، للمتقين جار ومجرور فى محل رفع خبر إن مقدم، مفازا اسم إن مؤخر منصوب.
حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا	حدائق بدل منصوب من مفازا وأعنابا معطوف منصوب.
وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا	وكواعب معطوف منصوب على ما سبق، أترابا نعت منصوب.
وَكَأْسًا دِهَاقًا	الجملة معطوفة على ما سبق وبنفس الإعراب.
لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا	لا حرف نفى مبنى، يسمعون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، فيها جار ومجرور، لغوا مفعول به منصوب، ولا كذابا معطوف منصوب والجملة فى محل نصب حال.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ١٧٤.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.

جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا	جزاء مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره جازاهم الله جزاء، من ربك جار ومجرور والجار والمجرور نعت لجزاء، عطاء بدل من جزاء وحسابا نعت لعطاء منصوب.
رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	ربِّ بالجر بدل من ربك وقرئ بالرفع على أنه خبر لمتدأ محذوف أى هو ربِّ، السموات مضاف إليه مجرور، والأرض معطوف مجرور.
وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ	وما عطف على السموات والأرض، بينهما ظرف مكان منصوب متعلق بمحذوف صلة ما، والرحمن بدل أو نعت لرب أيضا.
لَّا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا	لا حرف نفى مبنى، يملكون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة مستأنفة، ومنه جار ومجرور متعلقان بيملكون، خطابا مفعول به منصوب. وقرئ برفع الرحمن فيكون مبتدأ وجملة لا يملكون خبره.

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ ﴾

معانى المفردات:

مآبا: مرجعا بالإيمان والطاعة.

كنت ترابا: فلم أبعث فى هذا اليوم.

التفسير:

إن يوم القيامة يوم رهيب حيث يقف جبريل والملائكة مصطفين خاشعين، لا يتكلم أحدهم إلا من أذن له الله تعالى بالكلام والشفاعة ونطق بالصواب، قال الصاوى: وإذا كان الملائكة الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله لا يقدرون أن

يشفعوا إلا بإذنه، فكيف يملكون غيرهم[1] ذلك اليوم العظيم وهو يوم القيامة هو اليوم الكائن الواقع لا محالة فمن شاء أن يسلك إلى ربه مرجعا كريما بالإيمان والعمل الصالح فليفعل، وهو حث وترغيب، ثم قال تعالى "إنا أنذرناكم عذابا قريبا" حيث وجه الله تعالى الخطاب لكفار قريش المنكرين للبعث أى إنا حذرناكم وخوفناكم عذابا قريبا وقوعه هو عذاب الآخرة، سماه قريبا لأن كل ما هو آت قريب، وفى هذا اليوم يرى كل إنسان ما قدَّم من خير ولم يكلف ويقول: ياليتنى كنت ترابا حتى لا أحاسب ولا أعاقب قال المفسرون: وذلك حين يحشر الله الحيوانات يوم القيامة فتقتص للجمَّاء من القرناء، وبعد ذلك يصيرها ترابا، فيتمنى الكافر أن لو كان كذلك حتى لا يعذب[2].

الإعراب:

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ	يوم ظرف متعلق بلا يتكلمون، يقوم مضارع مرفوع والروح فاعل وجملة يقوم الروح فى محل جر بالإضافة للظرف.
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا	والملائكة معطوف مرفوع وصفا حال منصوب أى مصطفين.
لَّا يَتَكَلَّمُونَ	لا حرف نفى مبنى على السكون، يتكلمون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة تأكيد لقوله "لا يملكون" أو مستأنفة.
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ	إلا أداة حصر، من اسم موصول بمعنى الذى بدل من الواو فى يتكلمون أو نصب على الاستثناء، أذن فعل ماض، له جار ومجرور والرحمن فاعل والجار والمجرور متعلقان بأذن.
وَقَالَ صَوَابًا	وقال فعل ماض مبنى والفاعل مستتر، صوابا نعت لمصدر محذوف أى قولا صوابا.

(١) حاشية الصاوى على الجلالين ٤/٢٨٦.
(٢) صفوة التفاسير صـ ١٦٧٦.

ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ	ذلك اسم إشارة مبنى فى محل رفع مبتدأ، اليوم بدل مرفوع والحق خبر مرفوع. ويمكن القول بأن اليوم هو الخبر والحق نعت للخبر.
فَمَن شَآءَ	الفاء هى الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط محذوف، من شرطية فى محل رفع مبتدأ، شاء فعل ماض مبنى والفاعل ضمير مستتر.
ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا	اتخذ فعل ماض جواب الشرط والفاعل ضمير مستتر، إلى ربه جار ومجرور متعلقان باتخذ، جملة الشرط والجواب فى محل جزم، مآبا مفعول به منصوب.
إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ	إن واسمها وأنذرناكم خبر جملة فعلية فى محل رفع والضمير فى محل نصب مفعول به أول.
عَذَابًا قَرِيبًا	عذابا مفعول به ثان منصوب، قريبا نعت منصوب.
يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ	يوم ظرف متعلق بعذابا وجملة ينظر المرء فى محل جر بالإضافة للظرف.
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ	ما اسم موصول فى محل نصب مفعول، قدمت فعل ماض مبنى، يداه فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى وحذفت النون للإضافة والضمير فى محل جر الإضافة.
وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ	الواو للعطف، ويقول مضارع، الكافر فاعل والجملة معطوفة على ما قبله ويمكن القول إن الواو واو الحال وتكون الجملة فى محل نصب حال.
يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَابًا	يا حرف نداء مبنى للتنبيه والمنادى محذوف، وليتنى ليت واسمها وجملة كنت خبرها وترابا خبر كان منصرب.

من ألوان البلاغة

قد امتلأت السورة الكريمة بالعديد من ألوان البلاغة نذكر منها :

- التشبيه البليغ فى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ والتوضيح جعلنا الأرض كالمهاد يفترشه النائم وجعلنا الجبال كالأوتاد التى تثبت الدعائم ثم حذف أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا. ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾ أى كالأبواب فى التشقق والتصدع.
- الطباق بين "بردا وحميما".
- الإطناب بتكرار الوعيد فى قوله تعالى ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾.
- الإيجاز بالحذف فى قوله تعالى ﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ وذلك لدلالة ما تقدم عليها أى يتساءلون عن النبأ العظيم.
- المقابلة اللطيفة بين ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ وبين ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾ حيث قابل بين الليل والنهار والراحة والعمل وهو من المحسنات البديعية.

الأمر الذى يراد به الإهانة والتحقير فى قوله تعالى ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ وفيه أيضا التفات من الغيبة إلى الخطاب زيادة فى التقبيح والإهانة.

- ذكر العام بعد الخاص فى قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ فالروح هو جبريل داخل الملائكة فقد ذكر مرتين مرة استقلالا ومرة ضمن الملائكة بيانا على علو شأنه.
- السجع الجميل فى السورة كلها وهو من المحسنات البديعية.